Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:12, N°:2, (2022), P.P :88-97

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد:12، العدد:2، (2022)، ص.ص: 88-97

الأنا والآخر ذات إنسانية

The ego and the other are human

زينب زواقة

جامعة الجزائر 2 –أبو القاسم سعد الله (الجزائر) zinebzaouaga@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/27، تاريخ القبول: 2022/10/15، تاريخ النشر: 2022 /11/10

الملخص

لقد ظهرت الاختلافات الفكرية بين المجتمعات، وفي الكثير من الأحيان تتحول الى صراعات وخلافات، والتي أصبحت ذات نتائج سلبية على الإنسانية ككل فأصبح من الضروري البحث عن سبل الاتفاق ولغة واحدة من أجل التواصل.

إن تحقيق التواصل بين مختلف هذه الثقافات يحتاج انشاء جيل يؤمن بقيم المشاركة واحترام الآخر، أي التعامل مع الغير على أنه انسان مساو له، لذلك نهدف من خلال هذه الدراسة الى تحديد العلاقة بين الأنا والغير وإدراك سبل تحقيق التواصل بينهما، إضافة إلى إدراك قيمة كل من الأنا والغير في وجود كل منهما. لذلك يمكن أن نقول كيف يمكن للإنسان في ظل كل هذا الاختلافات أن يجد طريقا واحدا يصل فيه الى الجميع؟

معتمدين على المنهج الاستقرائي والتحليلي.

في النهاية نصل الى كيفية تقبل الآخر مهما كانت الاختلافات بيننا، لأن شعور الانا بوجودها الحقيقي متوقف على الاخر. نشر التوعية وثقافة التشارك بين الناس.

الكلمات المفتاحية:الخلافات الفكرية – الإختلافات– الصراعات – الإنسانية – التواصل –المشاركة .

Abstract

. Intellectual differences have emerged between societies and in many cases turn into conflicts and disagreements, which have negative consequences for humanity as a whole. It has become necessary to search for ways of agreement and a single language for communication.

Achieving communication between these different cultures requires the creation of a generation that believes in the values of participation and respect for the other, that is, dealing with others as an equal human being. The ego and the other exist in both of them. Therefore, we can say how can a person, in light of all these differences, find a single path that reaches everyone?

Relying on the inductive and analytical method.

In the end, we arrive at how to accept the other, regardless of the differences between us, because the ego's sense of its true existence depends on the other. Spreading awareness and a culture of sharing between people.

key words: Intellectual differences - differences - conflicts - humanity - communication – participation

1. مقدمة:

تتعدد أوجه العلاقة بالغير وتتخذ أبعادا مختلفة، هذه العلاقة لا تتوقف عن التغير وتأخذ أشكالا متنوعة إن لم تكن متناقضة، إنها التعبير الواضح عن طبيعة الوضع البشري الذي اتخذ صيغا مختلفة، فالناس يقيمون فيما بينهم أشكالا مختلفة من العلاقات ويستعملون الكثير من أدوات التواصل ويكشف لنا هذا الوضع عن تعقد العلاقة التي تمتد إلى الأنانية المفرطة أو الإيثار المفرط، وتتجلى هذه العلاقة في شكل تمظهرات مختلفة: كالحب، الكراهية، الصداقة، الصراع، العداوة ...، وهذا يحيلنا إلى صورتين للعلاقة مع الآخر، فإما أن يكون الآخر صديقا وإما عدوا، وبالتالي إذا كان الغير هو الذات الواعية المقابلة لذاتي أي الأنا الذي ليس أنا فكيف تتحدد علاقتي به؟ من هنا أمكننا التساؤل: كيف تتحدد علاقة الأنا بالآخر؟ وكيف تنظر الأنا الى الآخر الذي يشاركها الوجود؟ هل هو وسيلة لإدراك الذات لذاتها أم أنه تهديد لوجودها ولمكانتها؟ وهل هناك سبل للتفاهم والتحاور وبالتالي التواصل بين الأنا والغير؟

يمكن القول أن الذات تدرك ذاتها ولا تحتاج الغير في هذا.

إن الغير ضروري حتى تدرك الذات ذاتها بصورة أفضل.

الذات المساوية لذاتي يمكن أن تشكل تهديدا لمعرفة ذاتي ولوجودها.

إن الهدف من هذه الدراسة هو الوصول إلى الوسيلة المناسبة لإدراك الذات لذاتها من خلال علاقاتها مع الذوات الأخرى، إضافة الى سبل تحقيق تواصل الذات مع الآخر كجزء مهم من الوجود.

تم اعتماد المنهج الاستقرائي من خلال استقراء النظريات الفلسفية وأراء الفلاسفة حول موضوع الذات والغير. المنهج التحليلي هو المنهج الأساسي في الدراسة حيث أنه يتم التطرق لكل مشكلات الدراسة بالتحليل.

2. الوجود مع الغير:

إن كلمة الغير أو الآخرون لا تعني بالضرورة ما هو خارج الذات أو ما هو منفصل عن الأنا، بل العكس فالآخر هو الأنا وليس هناك تمايز بينهما، فالإنسان يعيش في وسط يحتوي مجموعة من الوجودات والأنات وهذه الأخيرة تتشارك في الوجود أي أن الأنا والغير جزء أساسي في الوجود وبالتالي لا يمكن الفصل بينهما حيث يقول هيدجر Heidegger (1889-1976): «عالم الوجود هنا هو عالم مشترك، الوجود هنا هو وجود مع الغير» (Heidegger, 1927, p. 150) أي أن الانسان في وجوده الطبيعي في هذا العالم هو مرتبط بوجود الغير، وكما تنظر الذات لذاتها تكون النظرة للغير على اعتبار أنهما جزء من وجود واحد يأخذ كل منها جزء منه، ويعيشان معا في حالة لقاء داخل هذا الوجود.

حيث أن الأنا في التحديد الفلسفي تطلق على الذات العارفة والمفكرة في مقابل الموضوعات المغايرة التي تتميز عنها (صليبا، 1982، صفحة 139).

أما الغير فهو يشير إلى ما هو موجود خارج الذات المدركة ومغايرا لها ومستقلا عنها (صليبا، 1982، صفحة 131)، فالغير هو الآخر المخالف والمعارض للذات. وبذلك فالغيرية هي كل من شيئين خلاف الآخر، وكونهما يتصور وجود أحدهما على الآخر (جميل ، 2010، صفحة 09).

3. الغير ضروري لوجود الغير:

إن الاهتمام بالعلاقة بين الأنا والغير لم يكن رائجا في الفلسفات القديمة مثل الفلسفة اليونانية، حيث كان الاهتمام منصبا على الكون والطبيعة وغيرها من المواضيع الفلسفية المجردة، فمضوع الأنا هو من المواضيع التي تناولها الفلاسفة المحدثين بالدراسة، أغلب هذه الأخيرة جاءت كرد على ما قدمه ديكارت Descartes (1596-1650) والذي تناول التمركز الذاتي وفلسفة الأنا، حيث يعتبر الأنا هي الأساس في المعرفة وهي تستغني تماما عن الآخر ويتجسد ذلك في فكرة الكوجيتو، فالذات من خلال تفكيرها تعرف نفسها وتثبت وجوده وبالتالي دون الحاجة إلى الاخر (ديكارت، 2009، صفحة 14)

لكن هذا الاعتقاد والتمركز حول الذات فيه العديد من المبالغة وذلك لأن الذات في وجودها تحتاج الآخر، فالأنا مهما حاولت إدراك ذاتها تبقى هذه المعرفة ناقصة لا يكملها الى وجود الغير، فالآخر هو صورة للذات فنعرف الذات من خلال معرفة الآخر والعكس.

1.3. العلاقة بين الأنا والآخر أساسها التناقض:

إن الكون والوجود يتكون على أساس جدلية بين مجموعة من الثنائيات الفكر والواقع، الأنا والموضوع والذات والآخر، وهذا يعني أن الإنسان يدرك ذاته ووجوده من خلال وجود الآخر، فوجود الآخر ضروري من أجل الوعي بالذات، والأنا لا يكون أنا إلا بالعلاقة مع الغير فعن طريق المقابل لي أتعرف على أناي وكل معرفة لذاتها تتطلب اعترافا من الآخر، فالذات تحدد مواصفاتها وخصائصها من خلال مقارنة نفسها مع الآخر.

إن إدراك الآخر يتحدد من خلال الاتصال به وهو العلاقة التي تربط الأنا بالآخر وهذه العلاقة هي تناقض أي في إطار الصراع والمخاطرة اللذين يؤديان في الأخير الى وعي الأنا لذاته ووعيه لذات الآخر.

ومن الأدلة على ضرورة الغير بالنسبة للأنا لدى هيجل Hegel (1770-1831) جدلية السيد والعبد، فكل من السيد والعبد يحاول أن يحقق وجوده عن طريق الصراع الجدلي بينهما، فالسيد لا يحافظ على مكانته إلا بالصراع مع العبد والانتصار عليه وينطبق هذا على العبد الذي لا يمكن أن يحقق ذاته الا بالصراع مع السيد من أجل ان يفرض ذاته وبالتالي فالصراع بين الأنا والآخر هو السبيل لتحقيق الوجود الحقيقي للذات وفي هذا السياق يقول: «تتمثل عملية تقديم الذات لنفسها أمام الآخر بوصفها تجريدا خالصا لوعي الذات، في إظهارها أنها ليست متشبثة بالحياة، وهذه العملية مزدوجة يقوم بها الآخر كما تقوم بها الذات» (هيجل، 2006، الصفحات 158-161) ومن خلال هذه الجدلية يظهر الأنا والآخر في صورة موضوعين مستقلين يقفان وجها لوجه، وأن وعييهما يتحددان من خلال أن كلا منهما يثبت ذاته لنفسه كما يثبتها للآخر بواسطة الصراع من أجل الحياة والموت. فالشعور بالأنا يقوم مقابله شعور بالغير، وهي مقابلة صراع بين خصمين اتخذ كل منهما من نفسه موضوع.

2.3. الغير هو الجحيم عند سارتر:

يرى سارتر Sartre (1905–1980) أن الغير ممر ضروري ووسيط لا يمكن الاستغناء عنه في مجال المعرفة الإنسانية، فالذات لا يمكن أن تعي نفسها إلا من خلال الغير الذي يراقبها ويستطيع تقويمها بشكل دقيق، كما أن الغير يتدخل كثيرا في حياة الأنا وفي ذلك يقول سارتر في مسرحية من تأليفه بعنوان "أبواب مغلقة": «أنا، والآخرون إلى الجحيم» وبالتالي فالعلاقة مبنية على العدوان والصراع.

والغير حسب سارتر جحيم وعدم سلبي مثال الطفل عندما يكون وحيدا فانه يتصرف بعفوية ويعبر عن ذاته بكل حرية لكن عند وجود من يراه فإن ذلك يعيق حركاته فيتوقف عن اللعب بعفويته، وهذا دليل على أن مراقبة الغير لذاتي تعيقني في معرفة ذاتي وإثبات وجودي الحقيقي فأظهر بالصورة التي يريدها الغير لا ما أريده أنا (Sartre, 1943, pp. 285–287) كما أن سارتر يؤكد استحالة وجود علاقة إيجابية بين الذات والغير مادام الغير جحيما يتطفل على الذات، أيضا الآخر موجود في وجودي وبالتالي فهو يتدخل بطريقة أو بأخرى في قراراتي وخياراتي وبهذه الطريقة هو يتعدى على حرية وبالتالي يهدد وجودي، لأن الحرية والوجود شيء واحد.

4. إشكالية التواصل مع الغير:

بفعل التحولات الاجتماعية والفكرية ظهرت العديد من المواقف الفلسفية ترفض النزعة الإقصائية في التعامل مع الغير سواء على مستوى الأفراد أو الثقافات، وتحاول تأسيس نظرة تتجاوز ما كان سائدا من إقصاء وتمييز.

1.4. العلاقة بين الأنا والغير أساسها التواصل:

يرى ميرلوبونتي Merleau–Ponty (1908–1961) أن العلاقة بين الأنا والغير إيجابية وبالتالي فهي قائمة على التواصل والتعاون وأساس هذا التواصل هو اللغة لأنها تحقق التعارف بين الأنا والآخر فالحوار مع الغير يمكننا من توليد معرفة إيجابية حيث يقول: «إذا ما ربطتني صلة بشخص مجهول لم ينبس بعد بكلمة، فإنني أستطيع أن اعتقد أنه يعيش في عالم آخر لا تستحق ذاتي أن توجد فيه، لكن ما ان ينطق بكلمة حتى يكف عن التعالي علي: هو ذا صوته وهي ذي

أفكاره هو المجال الذي كنت أعتقد أنه يستعصي علي بلوغه» (Morleauponty, 1967, P414) وبالتالي الغير عند ميرلوبونتي ضروري لأنه لا يمكن للأنا أن تتأقلم مع الوجود وأن تتكيف معه إلا بحضور الغير.

كما يعتقد ميرلوبونتي أن الموقف الطبيعي الذي ينبغي أن يتخذ من الآخر المخالف للذات، ليس هو موقف النبذ والإقصاء، بل مد جسور التواصل والحوار معه، وعدم اعتباره موضوعا قابلا للإقصاء. وفتح قنوات الحوار مع الآخر لا يتم إلاّ إذا خرج كل من الأنا والآخر من طبيعته المفكرة، وجعلا نظرتا بعضهما للبعض نظرة إنسانية أساسها القبول والتفهم. فميرلوبونتي يركز على مفهوم التواصل في علاقة الأنا بالغير. ذلك لأن اللاتعاطف قد يعيق التواصل ولكنه لا ينفيه، والذي يبرز أكثر عبر آلية اللغة وخصوصاً الكلام.

2.4. العلاقة بين الأنا والغير أساسها التعاطف الوجداني:

يرى شيلر أن وجود الغير ضروري بالنسبة للأنا، ذلك أن الآخر يعرفنا أكثر بأنفسنا فالغير وسيط مهم للتعرف على الذات، كما أن العلاقة بين الأنا والغير علاقة إيجابية أساسها التعاطف لا التنافر، أي لابد للذات الإنسانية أن تقيم علاقات مع الذوات الأخرى على أساس مهم وهو التعاطف الوجداني أي مشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم فمن الضروري أن نعايش الآخر في مشاعره وانفعالاته عن طريق المماثلة أي أن الآخر أيضا ذات مثلنا، وبالتالي فإن شيلر Scheller (1874–1928) يرفض أن تقوم العلاقات بين الآخر والذات على الصراع والكراهية والاقصاء وعلينا النظر إلى الغير نظرة محترمة يلتحم فيها الجانب الداخلي والخارجي «إن أول ما ندركه من الناس الذين نعيش معهم ليس أجسادهم ولا أفكارهم بل إن أول ما ندركه منهم هو مجموعات لا تنقسم ولا تتجزأ ولا نسارع الى تجزئتها إلى شطرين أحدهما مخصص للإدراك الداخلي والآخر للإدراك الخارجي» (Scheller, 1971, P353–355). فالإنسان لا يعيش في هذا العالم بمفرده لذلك فهو يعايش يوميا الأخرين ويشاركهم تفاصيل حياتهم بكل ما تحمله من أفراح وأحزان ولذلك فتلقائيا يجد نفسه يتعاطف معهم وفي المقابل أيضا الأخرون يتعاطفون مع الأنا، وهذا التعايش يقرب بين الأنا والغير.

وبالتالي لا تقف العلاقة بين الأنا والآخر على المستوى المعرفي بل تتخذ شكل علاقة مركبة تشمل ما هو عاطفي وجداني وكذلك ما هو أخلاقي.

3.4. الصداقة بين الأنا والغير:

يؤكد أرسطو (384ق.م-322ق.م) على العلاقة الإيجابية والمتمثلة في الصداقة، التي ينبغي أن تجمع الأنا بالغير. إنها تلك التي ينبغي أن تقوم على الفضيلة كقيمة أخلاقية منزهة عن المنفعة أو المتعة. إن الصداقة هي حاجة ضرورية حسب أرسطو لا يمكن الاستغناء عنها تحت أي ظرف، لأنهم الملاذ والملجأ في حالة البؤس والشدائد، فالإنسان ومنذ طفولته يسعى الى تكوين الصداقات لأنها تساعده على السير في حياته بصورة جيدة.(أرسطو، 1924، ص219).

كما يرى أوغست كونت Auguste Comte (1798-1857) أن الصداقة ترتبط بمفهوم الغيرية الذي يمثل واجبا على كل شخص وهو ما يقتضي من الفرد التوجه إلى خدمة الغير وأن يعيش من أجل الآخرين، ومبرر ذلك هو أن الفرد يدين للإنسانية بوجوده وبما حققه من تقدم وازدهار وذلك يستوجب منه رد الدين من خلال الانفتاح على قضايا الآخرين ونكران الذات والتضحية من أجل الغير وهذا يساهم في نشر قيم التضامن والاستقرار في العالم.

5. الحوار مع الغير:

1.5. أطروحة جوليا كريستيفا واللاقصاء:

وفي هذا السياق لدينا تصور جوليا كرستيفا Julia Kristeva (1941-...) القائم على نقد التصور حول الآخر بوصفه المختلف والذي يهدد الهوية، فالاعتقاد السائد بأن كل جامعة بشرية تتأسس على هوية خالصة هو اعتقاد وهمي في نظر كرستيفا ومن ثم فإقصاء الغريب كان بدعوى الحفاظ على وحدة الجماعة وهو موقف يقوم على التناقض فالوحدة المزعومة للجماعة مجرد مظهر يخفي التناقضات الداخلية التي تتكشف عندما ندقق النظر «ليس الغريب الذي هو اسم مستعار للحقد وللآخر، وذلك الدخيل المسؤول عن شرور المدينة كلها ... ولا ذلك العدو الذي يتعين القضاء عليه لإعادة السلم إلى الجماعة، إن الغريب يسكننا على نحو غريب إنه القوة الخفية لهويتنا»(Kristeva, 1988,P7) تتحدد طبيعة العلاقة بالغير من خلال العودة الى الذات، ذلك

لأن الغريب ليس هو الدخيل المُفسد لطمأنينة المدينة. وليس هو ذلك العدو الذي يجب مواجهته. بل الغريب يسكن الذات ويكسر التماسك الذي نسميه ال "نحن".

إذن الغريب ليس خارج الذات بل يسكنها فالفضاء الذي نعيش فيه وكل لحظات التفكك والموت هي شيء غريب يسكننا وعندما نعي بأن الغريب يوجد فينا نكف عن كراهيته.

إن اعتبارنا للغير هو الغريب خاصة إذا كان هناك اختلاف ثقافي بين الأنا والغير فذلك بدوره يزيد الشعور بالغرابة رغم أن الواقع يبين أن الغرابة موجودة في الذات لا الغير، فالإقصاء حالة ناتجة عن شعور الأنا بالاختلاف عن الغير. إذن فإن الذات تسقط حالة الغرابة على الغير خاصة إذا كان من ثقافة أخرى.

2.5. ثقافة الحوار:

الحوار هو الأسلوب الأمثل الذي نحقق من خلاله التواصل بين الأنا والآخر، ونظرا لقيمة هذا المفهوم وتأسيسه لعدة مفاهيم أخرى مثل الاختلاف والتسامح.

إن الحوار تفاعل وانفتاح تصغي فيه الأطراف إلى بعضها البعض، فهو تعرف على الذات وعلى الآخر في تفاعلهما، والهدف من الحوار ليس الحلول في ذات أخرى ولا ننزع فيه إلى طمس الاختلاف والحوار يساهم في تحديد الذات وكذلك علاقتها بالآخر.

يشير علماء الاجتماع الى أن الانسان اجتماعي بطبعه ولا يمكن أن يعيش بمعزل عن الجماعة حتى وإن توفر لديه كل شيء، فثقافة الحوار لها أبعاد كثيرة في تنمية القدرة على التفكير بشكل منهجي بعيد عن الإقصاء وهذا بدوره يساعد على إيجاد حلول لمختلف المشكلات. لكن ترسيخ هذه الثقافة لا يكون بين ليلة وضحاها وإنما يتم ذلك بالتدريج وعلى كافة المستويات من الاسرة الى كافة مؤسسات المجتمع (مجدي شرارة، 2016، ص100).

إن الانسان بحاجة الى الحوار والتواصل لكي يشبع حاجاته منذ الولادة فمنذ وصوله الى الحياة وهو يعمل على التواصل مع غيره من أجل التعبير عن نفسه وذلك بإحدى اهم أدوات التواصل وهو الحوار لذلك فهو من الأمور التي يسعى الانسان أن يتعلم قواعدها وأصولها.

إن التأسيس لإنسان متقبل للآخر ومتسامح معه يكون من خلال التنشئة على هذه القيم، وذلك يكون في البيئة الأولى التي يوجد بها الانسان أي الاسرة، وبالتالي فهي المسؤولة عن تلقين الطفل كل ما له علاقة بالتواصل والحوار واحترام الغير.

إن احترام الآخرين من القيم الأساسية التي يتعلمها الطفل في طفولته المبكرة وذلك عن طريق معايشته لوالده وطريقة تعاملهم مع الآخرين لأن الطفل يكسب سلوكاته عن طريق التفاعل والتقليد.

6. خاتمة:

في الأخير نستنتج أن هناك علاقة تلازم بين الأنا والغير، فلا وجود للأنا دون الآخر، ولا تبدأ المشاكل بين الأنا والغير في حال اختلافهما وإنما تبدأ في حال سعي أحدهما إلى تغيير الآخر. وهذا التغيير ينتج عنه محاولة إقصاء لكن ذلك لا ينجح لأنه مجرد اقصاء خيالي أو رمزي وليس واقعي فالغير يبقى حاضرا في واقع الأنا لذلك من الأفضل أن تكون العلاقة هي قبول، أي أن نقبل الآخر رغم اختلافه لأن الاختلاف هو جوهر الوجود. كما أن شعور الانسان بذاته متوقف على معرفة الأخرين باعتبارهم كائنات تستحق المعاشرة والاحترام، وهذه المغايرة بين الأنا والغير ضرورية لتثبيت الذات وتأكيد خصوصياتها وذلك لا يكون إلا بوجود الأخرين والعمل معهم في ظل التعاون والمحبة.

وحتى نتمكن من تحقيق ذلك لابد من التوعية ونشر ثقافة التشارك بين الناس وذلك من خلال التربية سواء داخل الأسرة أو من خلال المناهج الدراسية حيث نحاول غرس روح المشاركة واحترام الاختلاف مع الغير.

قائمة المراجع:

المراجع الأجنبية:

- Heidegger, M. (1927). *étre et temps.* (E. Martineau, Trad.) NUMERIQ HORS-COMMERCE.
- Kristeva, J. (1988). *Etrangers à nous-méme.* france: Fayard.
- Morleauponty, M. (1967). *Phénomologie de la reception.* paris: Gallimard.

- Sartre, J. (1943). *L'etre et le néant.* paris: Gallimard.
- Scheller, M. (2003). *Nature et formes de la sympathie.* (M.Lefebvere, Trad.) paris: Payot et Rivages.

المراجع العربية:

- أرسطو. (1924). *علم الأخلاق إلى نيقوماخوس.* (أحمد لطفي السيد، المترجمون) القاهرة: دار الكتب المصرية.
- جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي.* بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- روني ديكارت. (2009). *تأملات في الفلسفة الأولى.* (عثمان أمين، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- صليبا جميل . (2010). *نصوص فلسفية-الغير-.* (الهلالي محمد، و الأزرق عزيز، المحررون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- مجدي شرارة. (2016). *الحوار الاجتماعي.* القاهرة: مؤسسة فريديريش إيبرت.
- هيجل ,ف .(2006) .*فينومينولوجيا الروح*) .ن .العونلي (.Trad ,بيروت :المنظمة العربية للترجمة.